

## الإيمان بالقضاء والقدر

(خالد بن ضحوي الظفيري)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ الْعِظَامِ وَمَبَانِيهِ الْجِسَامِ، الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَلَا يَتِمُّ إِيْمَانُ الْعَبْدِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُحِطُّهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَكِتَابَتِهِ، وَلَا يَتِمُّ أَمْرٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا هُوَ خَالِقُهُ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى: ١-٣]، وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ الَّتِي لَا يَتِمُّ إِيْمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بِهَا، حِينَ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ، وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ أَقْوَامٌ يُنْكِرُونَ الْقَدَرَ: (فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلِيكَ فَأَحْبِرْهُمْ أَبِي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنْتَهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، بَلْ جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩] [رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ لَهُ مَرَاتِبٌ يَجِبُ اعْتِقَادُهَا، وَيَحْتَزُمُ الْإِحْلَالُ بِهَا، فَأُولَاهَا: الْعِلْمُ، فَعِلْمُ اللَّهِ شَامِلٌ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]. وَالثَّانِيَةُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥]. وَالثَّلَاثَةُ: الْإِيمَانُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ التَّافِدَةِ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَالْمَرْبُوبَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ وَأَدْرَكَهُ وَمَا فَاتَهُ وَخَسِرَهُ إِنَّمَا هُوَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَضَائِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ لَا يَخْرُجُ عَنْ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، أَوْرَثَهُ ذَلِكَ الرَّاحَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَالرِّضَا وَالسَّكِينَةَ، وَأَبْعَدَ عَنْهُ الْعِلَّ وَالْحَسَدَ، وَالْكَرَاهِيَةَ وَالْحِقْدَ،

فَمَا أَعْظَمَ ثَمْرَةَ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ عَلَى قَلْبِ الْمُسْتَسْلِمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالصَّابِرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ! قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رضي الله عنه].

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:**

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حِينَ قَضَى كُلَّ شَيْءٍ وَقَدَرَهُ فَقَدْ أَعْطَى لِلْعَبْدِ الْقُدْرَةَ عَلَى الْإِحْتِيَارِ، وَمَكَّنَهُ مِنْ سُئُوكِ طَرِيقِ الْخَيْرِ أَوْ طَرِيقِ الشَّرِّ، فَلَا مَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ لِلْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى أَفْعَالِهِ فِيمَا يُؤْمَرُ وَيُنْهَى، بَلْ هُوَ مُخَيَّرٌ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَيْسَ مُسَيَّرًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، فَالْمُؤْمِنُ وَسَطٌ فِي اعْتِقَادِهِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مَشِيئَةً لِكِنَّهَا لَا تَخْرُجُ عَنِ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَحَلْقِهِ وَكِتَابَتِهِ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، فَلَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْتَجَّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَافْتِحَامِهِ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، فَالِإِحْتِجَاجُ بِالْقَدْرِ عَلَى الْمَعَايِبِ وَالْعِصْيَانِ هُوَ أُسْلُوبُ الشَّيْطَانِ وَأَتْبَاعِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

### الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

**أَمَّا بَعْدُ:**

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَنَصَرَهُ وَكَفَاهُ.

### عِبَادَ اللَّهِ:

مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ - مَعَ تَوْسُّعِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ وَالْمَعْلُومَاتِ - دُخُولُ مُمَارَسَاتٍ وَمُعْتَقَدَاتٍ تُخَالِفُ إِيْمَانَ الْعَبْدِ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، فَتَسْلُكُ بِهِ إِلَى الْكُفْرَانِ أَوْ الْإِلْحَادِ وَالطُّغْيَانِ، كَمَنْ جَعَلَ لِلْعَقْلِ طَاقَةً يُمَكِّنُهُ بِهَا التَّصَرُّفَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَتَغْيِيرَ قَدْرِهِ، حَتَّى قَالُوا: (أَنْتَ تَصْنَعُ قَدْرَكَ بِيَدِكَ)، وَسَمُّوا ذَلِكَ بِعُلُومِ الطَّاقَةِ أَوْ الْجَذْبِ وَأَقَامُوا عَلَيْهِ الدَّوَرَاتِ وَالنَّدَوَاتِ.

وَمِمَّا يُخَالِفُ الْإِيْمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ: تَرْكُ الْأَسْبَابِ وَالْعَمَلِ بِحُجَّةٍ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ وَشَاءَهُ فِي الْأَزَلِ؛ فَإِنَّ الَّذِي أَحْبَبْنَا بِأَنَّهُ كَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ وَشَاءَهُ؛ أَمَرْنَا بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ، يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رضي الله عنه]. كَمَا لَا يَجُوزُ الْإِعْتِمَادُ عَلَى الْأَسْبَابِ وَتَرْكُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ.

وَمِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي تُخَالِفُ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ: قَوْلُ الْمُسْلِمِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، أَوْ لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ، بَلْ يَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ. وَمِنَ الْمُخَالَفَاتِ: الْإِعْتِرَاضُ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ بِالْجُرْعِ وَالتَّسْحُطِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى مَا قَدَّرَ اللَّهُ، بِقَوْلِهِمْ: لَوْ فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا، أَوْ قَوْلِهِمْ لِمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ: فُلَانٌ لَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْأَمْرَ، أَوْ (مَا يَسْتَاهِلُ)، لِمَا فِيهَا مِنَ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى قَدَرِ اللَّهِ، بَلِ الْوَاجِبُ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].